حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري، تتواصل فعاليات «مهرجان نيوبورت الشعبي» في الولايات المتحدة الأميركية. نستعيد لحظة بارزة وفارقة في هذا المهرجان، تمثّلت في 15 دقيقة، يُقال إنّها غيرت شكل موسيقى الروك إلى الأبد. 15 دقيقة كان بطلها بوب ديلان

كان في الرابعة والعشرين من عمره آنذاك (Getty)

بوب ديلان «الإلكتروني» ليست فكرة سيئة دائماً

لينا الرواس

في الخامس والعشرين من يوليو/تموز 1965، قدّم بوب ديلان (1941) أداءً موسيقياً في مهرجان نيوبورت الشعبي (Newport Folk Festival)، حصد من خلاله كثيراً من صيحات الاستهجان والاستنكار، لكنّه شق طريقه ليغدو واحداً من أهم اللحظات الموسيقية في التاريخ المعاصر.

فما سرّ هذا الأداء؟ ولم ما زلنا نذكره حتى اليوم؟ آنذاك، كان بوب ديلان واحداً من أهم أعلام الموسيقى الشعبية الأميركية، رغم أنّه لم يتجاوز الرابعة والعشرين. كما كان من أشد المدافعين عن إعادة إحيائها عبر موسيقاه في أوائل الستينيات من القرن العشرين، خصوصاً مع ألبومي The Freewheelin› Bob Dylan و The Times They Are a-Changin›، اللذين حققا له سمعة عالمية بوصفه «المتحدث الرسمي» باسم جيل كان على وشك الاندثار. ولم يكن ديلان ليحقق هذا الاعتراف الواسع، لولا مهرجان نيوبورت الذي أقيم لأول مرة، عام 1959، واستقطب قرابة 13,000 شخص، وأصبح في ما بعد حدثاً سنوياً لأكثر من عشر سنوات، هدفه الاحتفاء بتنوع الموسيقى الشعبية الأميركية folk music، عبر مشاركة العديد من الموسيقيين، أمثال جوان باين، وكينغستون تريو، وبيت سيغر. احتضن المهرجان الشعبي ديلان عام 1963، ومنحه فرصة ثانية للظهور مجدداً عام 1964، ومرة أخرى عام 1965، وذلك عندما قرر ديلان قلب الطاولة والخروج عن «المساحة الآمنة» التي وفرها المهرجان له ولكلّ موسيقيي الفولك حينها.

كلّ ما تطلبه الأمر

ما الذي حدث؟ وصل بوب ديلان كابل غيتاره بالقابس الكهربائي، وهذا كلّ ما تطلّبه الأمر! رفقة مجموعة بلوز إلكترونية، مؤلفة من بيري غولدبيرغ على البيانو، وآل كوبر على الأورغ، وغيرهم من أعضاء فرقة «باترفيلد بلوز» وبدعم من مضخمات الصوت الكبيرة، تحدى ديلان المقولة السائدة عن تفاهة الروك آند رول آنذاك، وافتتح عرضه بأغنية «مزرعة ماغي» من ألبوم 61 Highway وسط ذهول هائل.

> لم يكنّ الأصوليون الشعبيون أيّ احترام لموسيقى الروك آند رول

ثم تلتها أغنية Like a Rolling Stone، التي رفعت صيحات الاستهجان عالياً. غادر البعض الحفل، وبقي آخرون فقط لكي يسخروا من ديلان ومن تحوله المفاجئ إلى عالم الموسيقى الإلكترونية. ما إن انتهت الأغنية الثالثة، حتى بدأ الصراخ والاستنكار: «هذه ليست موسيقى». وصرخ آخرون: «اعزف موسيقى الفولك أو غادر!». كلّ هذا لم يمنع ديلان من إكمال وصلته التي امتدت إلى خمس عشرة دقيقة، بثلاث أغانٍ، يقال إنّه غيّر عبرها مجرى تاريخ موسيقى الروك والفولك في الولايات المتحدة... إلى الأبد.

لم يكن هذا التحول إلى عالم الموسيقى الإلكترونية مفاجئاً تماماً، إذ كان ديلان قد أصدر الألبوم نصف الإلكتروني الشهير Bringing It All Back Home، قبيل المهرجان بأشهر، وشرع لتوه في إعادة تسجيل أغاني 61 Highway مع موسيقيي روك آند رول وآلات إلكترونية. كما كانت أغنيته Like a Rolling Stone، الإلكترونية، قد تصدرت معظم لوائح الموسيقى في البلاد.

نبض الجماهير

كان بوب ديلان منحازاً في أعماله إلى الشارع؛ فرغم ذلك الصدام مع الجمهور، في عام 1965، ظلّ المغني الأميركي يمثّل ذلك الصوت غير الرسمي، الخارج عن الداخل من الداخل نفسه، المضاد والمكتوم، العالي والمُنكفئ، الذي ظلّ يقاوم ويثابر على فضح عيوب النظام السائد بلغة شعرية مجازية عذبة، وصنعة موسيقية متقنة، مُعيداً ثقافة الجماهير إلى الجماهير، بعدما صادرها النظام.

15 دقيقة فقط

يصف العديد من مؤرخي السيرة الذاتية لبوب ديلان، أنّ ما حدث من استنكار على الخشبة، لم يكن مختلفاً تماماً عمّا كان يحدث خلفها؛ إذ تشير روايات نقلها شهود عن الحادثة، أنّ أعضاء مجلس إدارة المهرجان، خصوصاً بيت سيغر وآلان لوماكس، أرادا قطع الكهرباء لإنهاء وصلة ديلان، لكنّ مدير أعماله، ألبرت غروسمان نجح، في إيقافهم. يشكل الفاصل التاريخي الكبير، والنجاح الساحق الذي حققه ديلان لاحقاً في مسيرته الفنية، عائقين أمام التحقق من صحة الروايات الكثيرة التي تصف تلك الحادثة الأسطورية، فعازف الأورغ آل كوبر، صرح مثلاً بأنّ الجمهور لم يكن مستاءً من النوع الموسيقي المقدم عبر فقراتهم، بل كان مزعوجاً من ضعف جودة الصوت، وقصر مدة الاستعراض (15 دقيقة فقط)، بينما استمرت عروض المغنين الآخرين لمدة 45 دقيقة، أو ساعة: «كانوا يشعرون بأنّهم تعرضوا للسرقة. لم يهتموا بكوننا إلكترونيين. لقد أرادوا المزيد وحسب».

صحيح أنّه ليس بوسعنا التحقق من الدقة في ما يتعلق بحادثة ديلان ذاتها، لكنّنا نعلم تمام العلم أنّ العداء بين رواد موسيقى الفولك، وموسيقى الروك آند رول، كان في أشده حينها؛ فالاستهجان العارم الذي أصاب جمهور ديلان في الرود آيلاند، يعود سببه إلى الصلات الوثيقة التي جمعت بين حركة الحقوق المدنية وموسيقى الفولك الأميركية في تلك المرحلة، إذ سخّر رواد الموسيقى الشعبية أنفسهم وكلمات أغانيهم وألحانهم، لدعم الحركة السياسية والمدنية الجارية في الولايات المتحدة. وبسبب هذا «الالتزام السياسي» لم يكنّ الأصوليون الشعبيون أيّ احترام لموسيقى الروك آند رول، مختزلين إياها إلى مجرد ضجيج تجاري مفرغ من أيّ معنى، معتقدين أنّ الموسيقى الحقة هي موسيقى الأكوستيك (الصوتية) فقط. وأنّ كلّ ما عداها لا يتجاوز كونه هرطقة سمعية، أو بدعة على وشك الزوال بمجرد انتهاء صلاحيتها.

قبل كلّ شيء

غضب جمهور ديلان منه؛ لأنّه عبر تبنيه لتقنيات الموسيقى الإلكترونية، فإنّه «يخون» ويتمرد على نهجه السياسي والموسيقي اللذين جلبا إليه محبة الناس واحترامهم في الأصل، فلم يكن ديلان مشهوراً بصوته الجميل، ولا بأدائه الموسيقي الخارق، بل بقدرته على صياغة موضوعات أغانيه، بشكل يحاكي مشاكل الناس الحقيقية وقضاياهم، خصوصاً في تلك الفترة المشتعلة بالتظاهرات المعادية لسياسة الحكومة الأميركية، وبحركات التحرر العرقية والجندرية. الأمر الذي لم تقف موسيقى الروك آند رول في صف الحياد عنه، بل لعبت فيه دوراً أساسياً على مرّ العقود الماضية.

تذكّرنا تجربة ديلان أنّ الفنون، قبل كلّ شيء، هي وسط للتجريب والابتكار، وأنّ الوصفات الجاهزة سرعان ما تصبح بالية وغير قابلة للاستعمال، وأنّ الوقوف في وجه 13,000 شخص، بين كلّ حين وآخر، ليست فكرة سيئة دائماً.

أخبار

على خشبة مسرح النافورة المكشوف، تقدم فرقة **أوركسترا القاهرة السيمفوني** في الثلاثين من الشهر الجاري، بقيادة المايسترو هشام جبر، سيمفونية «شهرزاد»، التي وضعها الموسيقي الروسي، ريمسكي كورساكوف، عام 1888.

أصدرت فرقة الروك الأيرلندية، **Inhaler**، ألبومها الأول، الذي يحمل عنوان It Won›t Always Be Like This. يتكون الألبوم من إحدى عشرة أغنية، سبق للفرقة إصدار بعض منها على شكل أغانٍ منفردة.

عند التاسعة والنصف من مساء السابع والعشرين من الشهر الجاري، يقيم مسرح «مترو المدينة» في بيروت، عرضاً يحمل عنوان «يا طيرة طيري» يؤدي فيه الفنان الشاب، **فراس عنداري**، مجموعة من القدود الحلبية.

في الثالث من أغسطس/ آب المقبل، تقيم فرقة **الأوّله بلدي** المصرية، عرضاً في «ساقية الصاوي» في القاهرة، عند الساعة التاسعة مساءً، تؤدّي فيه مجموعة من أغاني الفنان الراحل، الشيخ إمام عيسى.

في التاسع والعشرين من الشهر الجاري، تقيم فرقة **أوبرا الإسكندرية للموسيقى والغناء العربي** في مسرح سيد درويش بالإسكندرية، عرضاً، تقدّم الفرقة مجموعة من الأعمال لمحمد عبد الوهاب (الصورة) ورياض السنباطي ومحمد القصبجي.

تواني واتسن
أغانٍ متفرّقة تُدعى ألبوماً

عمر بقبوق

منذ أصدرت تواني واتسن أغنية Dance Monkey، والجميع ينتظر ألبومها الأول؛ فالفتاة التي تشتهر باسم Tones and I، والتي تخطت ثاني أغنياتها عتبة المليار مشاهدة على «يوتيوب» أثارت حالة غريبة من الجدل، ليختلف حولها النقاد الموسيقيون؛ إذ رأى البعض أنّ Tones and I نموذج حي على هشاشة المعايير الإنتاجية والتسويقية في موسيقى البوب، وذلك حين سبحت عكس التيار لتصوغ أفضل أغنية عصرية، بالاعتماد على موسيقى الـ EDM (الإلكترونيك دانس ميوزك). في المقابل، رأى البعض الآخر أنّ تقييم Tones and I مبالغ فيه بشكل غير مسبوق، مشيرين إلى أنّ أغنيتها الأنجح Dance Monkey هي أغنية ضعيفة، لم تلقَ النجاح التجاري سوى بسبب طرافتها وقدرة السوشيال ميديا على رفع منتجات فنية ضعيفة إلى الواجهة. هذا الجدل جعل ألبوم Tones and I الأول، Welcome To The Madhouse، واحداً من أكثر الألبومات المرتقبة في سنة 2021، وقد سبقته مجموعة من الأحكام المسبقة، التي تنبأت بفشله بسبب محاولة يائسة للتماشي مع الأساليب السائدة في موسيقى البوب، أو بإمكانية اختزاله بنكتة جديدة، يمكنها أن تصبح النغمة الجديدة لمعظم مقاطع الفيديو الطريفة على «تيك توك» أو «إنستغرام».

هذا التوقع تم تعزيزه من خلال أغنية Won›t Sleep، التي صدرت منفردة قبل شهرين من طرح الألبوم؛ إذ بدا واضحاً فيها أنّ الاتجاه الذي تسير فيه Tones and I يمكن تعقبه بالفعل. إلّا أنّ الألبوم الذي تم إصداره الأسبوع الماضي، بـ 14 أغنية، لم يكن متوافقاً مع ذلك، بقدر ما بدا يحمل تأثيرات مختلفة من نجوم بوب معاصرين، أبرزهن بيلي آيليش، ليبدو واضحاً أنّ واتسن -التي لم تبلغ بعد سن الثامنة عشرة من عمرها- ليست قادرة في هذه المرحلة على رسم ملامح خاصة لهويتها الموسيقية، بقدر ما تمكّنت من مزج وتأليف وأداء أغانٍ متفرقة، قد يعرف بعضها طريق النجاح.

> تعاني بعض أغاني الألبوم من رتابة الإيقاع وعدم النضج

رغم اهتمام Tones and I بخلق هوية بصرية مميزة للألبوم، ومحاولتها إضفاء لمسة فنية مختلفة عن السائد من خلال اختيارها موضوعات الأغاني في الإصدار، الذي يضمر بعض الإثارة في عنوانه؛ فإنّ المشكلة الرئيسية في العمل هي تذبذب مستوى الأغاني فيه، فبعضها يبدو مميزاً للغاية، بإيقاعات راقصة وسلسة، تتمكن من المكوث لوقت طويل في الدماغ، كما هو الحال في أولى أغنيات الألبوم Won›t Sleep، وفي Welcome To The Madhouse. في الأغنيتين، تنجح Tones and I بإثارة الانتباه مجدداً من خلال مواضيع غريبة عن الذعر والعوالم الأخرى الغامضة التي يعيشها المراهقون. لكن، على العكس من أغنية Dance Monkey؛ فإنّ الأغنيتين تفتقدان لحس الطرافة العالي الذي كان أهم عناصر نجاحها.

ومن ناحية أخرى، فإنّ عدداً من أغاني الألبوم يبدو ضعيفاً للغاية، ما يشير بشكل واضح إلى أنّ تجربة Tones and I ما زالت تفتقد للنضج، منها أغنية Child›s Play، التي تعاني من رتابة في الإيقاع، لا يكسرها سوى قدرات توني واتسن الصوتية، التي تتلاعب بإبداع بالطبقات الصوتية المتعددة التي تملكها، لكنّها رغم ذلك تخفق في توظيفها بالشكل الأفضل. ربما يكون سبب فشل Tones and I في صياغة ألبوم يتوافق مع مستوى توقعات معجبيها هو اللافت، فهو على عكس التوقعات المسبقة، لم يكن مقترناً بمحاولة واتسن للتماشي مع التيارات الموسيقية السائدة وعلى عدم قدرتها على مجاراتها، وإنّما السبب متعلق بإصرارها في معظم الأغاني على اللعب بذات المساحة التي خلقتها لنفسها في انحرافها الهامشي الخاص.

نجحت جماهيرياً ولم تلقَ ترحيب النقاد (Getty)